

مقتطفات:

إرهاصات الطب النفسي الإيقاعحيوي التطوري،

منذ نصف قرن 1968 :

من كتاب "عندما يتعري الإنسان"

من حكاية "فى القفص"

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD200517.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/05/20

السنة العاشرة - العدد: 3549



مقدمة:

ما زلنا كما نكشف تواعدنا نلتقى حول هذا العمل الباكر - عندما يتعري الإنسان - لنؤكد أن هذا الطب الإيقاعحيوي التطوري قديم وراسخ، وأيضا أن تقديمه بهذه الطريقة الأبسط قد يكون أكثر فائدة للشخص العادي، ولمن شاء من أطباء النفس خاصة والنفسيين عامة.

مقتطف اليوم من حكاية "فى القفص" وبه جرعة زائدة (أو مناسبة)

من نقد مزاعم الحرية وإشارة غير مباشرة تدعم فرض اختيار الجنون، الذى يعرّيه المقتطف بإثبات العكس، وهو "العجز عن اختيار الجنون".

المقتطف (من فصل: "فى القفص")

قال الحكيم: (للفتى) (قبل الحكاية)

= حين تهتز القيم، وتصبح مواصلة الحياة عملية صعبة بل خطيرة، تحمل من التهديد أكثر مما تحقق من الراحة والارتواء، تتراءى للإنسان مسارب الهرب فى الجنون، لكنى قابلت بعض الأصدقاء المرضى الذين حاولوا أن يختاروا طريق الجنون فلم يستطيعوا إليه سيلا.. وكأنه هدف بعيد المنال، وقد تعجب لقصة ذلك "السارق" الذى فضّل دخول "سجن مصر" بعد أن عجز عن دخول خبرة الجنون.

.....
.....

قال الفتى:

- وكيف كان ذلك

قال الحكيم:

= دخل على قصير الخطى مُحدّد القسمات ثابت النظرات يضغط على أسنانه فتظهر عضلات فكه تحت جلد صدغيه فى انتظام رتيب... كان أقرب إلى القصر مليء الجسم عضليّ التكوين، جلس دون أن ينطق، وكأنه ما جاء إلا ليجلس، ومرّ الوقت ببطء ثقيل قبل أن يقول:

الطبيب:

- ماذا تنتظر؟

الطبيب:

= أنتظرك.

- ولكنى هنا منذ فترة

أن هذا الطب الإيقاعحيوي التطوري قديم وراسخ، وأيضا أن تقديمه بهذه الطريقة الأبسط قد يكون أكثر فائدة للشخص العادي، ولمن شاء من أطباء النفس خاصة والنفسيين عامة

حين تمتاز القيم، وتصبح مواصلة الحياة عملية صعبة بل خطيرة، تحمل من التهديد أكثر مما تحقق من الراحة والارتواء، تتراءى للإنسان مسارب الهرب فى الجنون

= ليس تماما.

- هل تشككنى فى نفسى؟... أنت أيضا؟... أأستَ وكيل نيابة آخر بدرجة طبيب... سوف أضحك ما شاء لى الضحك.. إفتح محضرك الطبى لتستكمل الصورة أبعادها.. افتح المحضر من فضلك.

= أى محضر؟

- أأليست تهمة جديدة.. تضاف إلى صحيفة سوابقى... أأليست أمراضكم هذه تهمة... بل هى أشنع من السرقة والتهديد التى أأحكّم من أجلها... المرض ضعف وأنا لست ضعيفاً.. أنا قوى، أنا لص، أسرق فى وضح النهار وبالإكراه، لست ضعيفا ولست مريضا مهما قلتهم.. هذا المحامى المعتوه الذى عينته الحكومة هو الذى أأصر على استشارتك... وهأنذا، لن تعرف منى شيئا... فأنا لست مريضا، لست ضعيفا ولن أكون، ولم أكن كذلك أبداً، هيّا افتح المحضر.. ولا تضع وقتى فكم سأتمتع بحوارك، ولن تُدخلنى أبدا هذا السجن الجديد سجن الضعف والشفقة، لن أأعترف بالمرض أبدا، بل لن أمرض أبداً، وعلى كل حال ليس لازما أن أأعترف حتى أدخل السجن... هذه كذبة قديمة... ليس هناك علاقة بين السجن والجريمة، ولا بين الاعتراف والعقوبة، هذه أشياء وضعتوها لتبرروا بها ما تفعلون دون اقتناع، تبررون بها هذه القضبان وهذا الظلام وهذا البرد..

= أى برد تعنى؟

- برد الوحدة والقسوة.. فى زنزانة إنسان جف وسط مجتمع لا يفهم، لا تنتظر منى شيئا، لن أتكلم... لن أأعترف بهذه التهمة الجديدة، سوف أأخرج من هنا لأقول إنك مثلهم تماما أأست منهم، واحداً منهم.

= ممن؟

- من وكلاء النيابة والمحامين والآباء المحترمين.

= نعم.. تقريبا.. ولكن..

- اتفقنا، هكذا أستطيع أن أستريح، لقد جئتُ نتيجة لتصميم ذلك المحامى الأبله، وتحققتُ مما ظننت، وجدتُ أنك منهم لا أكثر ولا أقل، وعليه فلن أمكنك من بقية نفسى، لن يبقى لى إلا هذه الأسرار التى أأجترها فى خيالى لأشعر بخصوصيتى، لأشعر بأنى أأعرف شيئا لا يعرفه أحد، لأشعر بأنى أأتمتع بحرية التفكير فى السر، ولكن هل هذه حرية تلك التى تُمارَس فى السر؟... قل لى بربك هل يمكن أن تمارس الحرية سرا.

= لا أظن.

- ومع ذلك لن أطلعك على سرى، بل لعلى أأدعك إذا قلت لك إن عندى أسرار، بل إن حيرتك تعجبى، هل عندى أسرار أم لا؟ عندى؟ ليس عندى؟ لا بد أننى عندى؟ لا ليس عندى؟ إنك تظن أنه عندى؟ وربما ليس عندى؟ ما أأحلى حيرتك فى نظرى، هكذا أأتنفس أأعمق، أنا الآن الذى أسأل وعليك أنت أن تجيب، أنا الذى أأملك زمام الموقف... أنا الآن حر... مسيطر... قوى، هيّا: بماذا تجيب؟ هل عندى أسرار حقيقية أم لا؟

= لا يوجد إنسان بلا أسرار.

- ولكنى أأعترف بالجريمة وكنت أستطيع أن أأحتفظ بها سرا ولكن هل تعلم لماذا لا يوجد إنسان بلا أسرار.

= لماذا؟

- لأن الناس لا يؤتمنون على الأسرار، ولو كان الناس شرفاء لما أأحتفظ أحد بسر يرضيه أو يضره، ولعاش كل الناس فى النور وعشت أنا حرا لا يعوق حركتى أحد ولا شىء.

= وما الذى يعوق حركتك؟

أريد أن أتجرر من هذا
الجسد دون أن أموت، ولا
سبيل إلى ذلك إلا أن أودع
جسدى داخل سجن حقيقى
من أربعة جدران، وأطلق
نفسى حرة وراء الأسوار

إنى لا أمارس حريتى بالخارج
لذلك لجأت إلى السجن لعلى
أمارسها فى الداخل

- الناس... البوليس... المخبرون.. الحكومة.. المبادئ.. الحق.. الواجب... أنت وأنا.. أنا أعوق حرية نفسى... إن نفسى سجينه داخل جسمى. أريد أن أتحرك من هذا الجسد دون أن أموت، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أودع جسدى داخل سجن حقيقى من أربعة جدران، وأطلق نفسى حرة وراء الأسوار، هذه الطريقة العجيبة من اختراعى وحدى: لكى تكون حراً يستحسن أن تدخل السجن، ربما هذا المنطق هو الذى دعا محامى أن يرسلنى إليك، لم يفهمنى ولم يفهم تمسكى بدخولى السجن وطلبى أقصى أنواع العقوبة.. إنى لا أمارس حريتى بالخارج لذلك لجأت إلى السجن لعلى أمارسها فى الداخل، ولذلك تعجب القاضى وتعجب المحامى وحولونى إليك.

= ولكن من الذى يمنعك من ممارسة حريتك؟

- ما الذى يمنعنى!! ولكن ما الذى يمنعك أنت؟ هل تمارس أنت حريتك؟ هل يمارس أحد حريته، إن كل إنسان يعيش داخل قفص وجد نفسه فيه، وراء قضبان يعتقد أنها تحميه... وهى فى الحقيقة تمنعه وتقيده وتعوقه، ثم هو يمارس حريته المزعومة داخل هذه القضبان التى تعود عليها حتى لا يكاد يراها... والفرق بينك وبينى أنى رأيت القضبان، ورفضت خداعها وقررت ألا أعيش فى هذا الوهم... وهم الحرية والاختيار... ثم قررت أن أجسّد هذه القضبان من حولى، فلأقبلها إلى قضبان مادية ملموسة، وبذلك أكون أكثر شجاعة... وأطلق نفسى خارجها. وأثبت أنى أبعد نظراً من كثيرين.

= أحياناً يقوم وهم الاختيار بوظيفة الاختيار ذاتها.

- أى اختيار وأية وظيفة.. إنك تستطيع أن تختار السير داخل القضبان... أو الجرى داخلها.. تستطيع أن تختار أن تطليها باللون الأخضر أو باللون الأحمر، أما أن تختار أن تخرج منها فهذه هى المصيبة الكبرى، يسميها البوليس مؤامرة، ويسميها الجيش خيانة، ويسميها الحزب انحرافاً، ويسميها القاضى جريمة، وتسميها أنت جنونا، لقد مارست كل هذا وأنا أحاول أن أخرج منها، ويبدو أنى سأمارس النوع الأخير معك فى هذا القفص الجديد...، إلا أنى بدأت أتمتع بهذا القفص لأن الحارس لا يُكثر من الأسئلة، أنت وكيل نيابة فاشل... ليس عندك "سين".. ولا "جيم"، ولكن ربما هذه طريقته جديدة للاستجاب... للحصول على الاعتراف بغير جهد كبير... لكنك لا تستطيع أى شىء إزاء إنسان اختار تحقيق حريته بأن يكون سجيناً.

= عندك حق، أنا لا أستطيع إلا بك... ومن خلالك.

- ماذا تريد منى أنت... ما هى تهمتى التى أتت بى إلى هنا؟ إن كان على السرقة فقد سرقت وهددت، وطلبت دخول السجن بنفسى، وهذا هو ما لم يعجب المحامى ولا القاضى ولا أحداً، هذا المحامى الذى عينته الحكومة ضد إرادتى، يريد إثبات أنى غير مكتمل العقل، إنه لا يتصور أن إنساناً يفضل قضباناً حديدية محددة المعالم على حواجز وهمية تحطم ذاته، أنت لا تستطيع فعل شىء ولو كنت تستطيع لكنت فعلت، هكذا كل الناس، الذى يستطيع يفعل والذى لا يستطيع يبحث عن مبررات، الحرية هى القدرة على الفعل.. هى القوة... هى السيطرة ولكن حتى السيطرة لن تحقق لى شيئاً، فقد كنت أستطيع أشياء كثيرة، ولكنى كنت مقيداً بأشياء أكثر، هل تريد أن تعرف كيف؟ هل تحب أن تسمع أكثر.

وبعد

...نكمل غداً

إن كل إنسان يعيش داخل قفص وجد نفسه فيه، وراء قضبان يعتقد أنها تحميه... وهى فى الحقيقة تمنعه وتقيده وتعوقه، ثم هو يمارس حريته المزعومة داخل هذه القضبان التى تعود عليها حتى لا يكاد يراها

الحرية هى القدرة على الفعل... هى القوة... هى السيطرة ولكن حتى السيطرة لن تحقق لى شيئاً. فقد كنت أستطيع أشياء كثيرة، ولكنى كنت مقيداً بأشياء أكثر



مؤسسة العلوم النفسية العربية
معاً... نذهب أبعد